مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
الجزء الثاني
أيلول / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.07

الأنماط العليا في مرويات تاج العروس (الغول والسعلاة أنموذجاً)

حسين فاضل عباس ملوح // جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية
Hussein.fadel@copolicy.uobaghdad.edu.iq

مستخلص:

تحضر الأنماط العليا في المرويات بوصفها الأساس الذي تتركز عليه في بناء الحدث، ومن ثمَّ يتم تقسيم النمط الأعلى على أساس البنية الثقافية، والمخرجات التاريخية والآيدولوجية، فتصبح الأنماط منتمية لخاصيتي الارتقاء والسقوط، المرتكزتان على فكرة (النور/ الظلام)، (الجنة/ النار)، (الحياة/ الموت)، وتنطلق المرويات على أساس هذا التقسيم في تشظيها المستمر على الأصل الذي جاءت منه.

والنمط الأعلى بحسب (كارل غوستاف يونغ) و(نورثروب فراي) يرتبط بالبنية الحكائية الأولى، واللغة الأولى التي اصطلح عليها فراي (الاستعارية)، المكونة للبنية الأسطورية، بوصفها فكرة دائمة الحضور في العقل البشري، على أساس قابلية الأنماط -بوصفها (نموذجًا بدئيًا)- على الحضور الرمزي في العقل، ومن ثمَّ حضورها في الكلام المتمثلة في المرويات، وبما أنَّ بحثنا في المرويات العربية، فقد تم اختيار تاج العروس من جواهر القاموس، بوصفه المعجم الجامع للمعاجم اللغوية السابقة، وهو يحمل المرويات التي تنتمي إلى منطقة شرح المفردة، فكانت الفكرة البحث عن حضور النمط في المروية العربية التي تجسدت فيها الأنماط العليا.

وقد وردت في تاج العروس المرويات الخاصة بالحيوانات، ورؤية العربي لتلك الحيوانات، فظهر الجانب الأسطوري في تلك البنية، نتيجة انسلال الرمز الأسطوري ضمن قابلية النموذج على الحضور في الذاكرة، فضلًا عن قوة المخيلة المرتبطة باللغة المعبرة عنها، ليتمَّ النظر إليها على أساس قوتها الخارقة، ومن ثمَّ تقسيمها بحسب الخير والشر، بناءً على ما تمثله من حضور في الحياة اليومية، لذا سيكون البحث عن مفهوم الغول والسعلاة، وعملية التقسيم (خير/ شر)، والبحث عن الأصول الأسطورية (الأنماط) في تلك المرويات، وأثر تلك المرويات في تصدير الكائنات المرئية وغير المرئية ضمن الوجود البشري.

الكلمات المفتاحية: الأنماط العليا، المرويات، تاج العروس، الغول، السعلاة.

Higher Patterns in the Narratives of Taj al-Arus (The Ghoul and the Sa'ala as a Model)

Hussein Fadel Abbas Mallouh // University of Baghdad - College of Political Science
Email: Hussein.fadel@copolicy.uobaghdad.edu.iq

Abstract :

Higher patterns are present in the narratives as the foundation upon which the event is built. The higher pattern is then divided based on the cultural structure and historical and ideological outcomes. The patterns become associated with the characteristics of ascent and fall, based on the ideas of (light/darkness), (heaven/hell), and (life/death). Based on this division, the narratives begin to fragment continuously, reflecting their origins. The higher pattern, according to Carl Gustav Jung and Northrop Frye, is linked to the first narrative structure and the first language, which Frye termed metaphorical, which constitutes the mythical structure, as an ever-present idea in the human mind, based on the ability of patterns - as an archetype - to have a symbolic presence in the mind, and thus their presence in speech represented in narratives. Since our research focuses on Arabic narratives, Taj Al-Arous was chosen from the jewels of the dictionary, as it is a comprehensive dictionary that encompasses the content of previous linguistic dictionaries, and it contains narratives that pertain to the area of explaining words. The idea was to search for the presence of the pattern in the Arabic narrative in which the higher patterns were embodied. The Taj al-Arus includes narratives about animals and the Arabs' perception of these animals. The mythological aspect of this structure emerges as a result of the mythical symbol's infiltration within the model's ability to resonate in memory, as well as the power of imagination associated with the language it expresses. These narratives are viewed based on their supernatural power and then categorized as either good or evil, depending on their presence in daily life. Therefore, the research will explore the concept of the ghoul and the ogre, the process of dividing (good/evil), the search for the mythical origins (patterns) in these narratives, and the impact of these narratives on the export of visible and invisible creatures within human existence. Keywords: higher patterns, narratives, Taj al-Arus, ghoul, ogre.

أولًا: المقدمة:

تمارس الأنماط العليا حضورها على المستوى الفكري والسلوكي بصورة مستمرة، بوصفه بنية قارة تأخذ مجالها الحضوري من النظام اللغوي والنظام الأسطوري[1]، والمرويات العربية تزخر بتلك الأنماط الممثلة للبنية الأصلية، أو النماذج البدئية المتكونة عبر التجارب السابقة، والنمط يحضر عبر تحولاته الضمنية المختلفة، محافظًا على الشكل العام للبنية، فالمضامين خاضعة للبناء الثقافي لكل مرحلة زمنية، متخذةً من الأصل المركز الذي تتصل به لتجلي تلك الصور المخيالية المختلفة.

فبحسب نظرية يونغ في النماذج الأصلية (البدئية)، تكونت (صور نموذج بدئية) عبر التجارب السابقة مع الأحداث، ومن ثمَّ تمَّ تحويلها إلى بنية حكائية مؤثرة في انتاج الثقافة، فقد عملت الحكاية على استمرار النمط في الحضور، ومن ثمَّ تصدير الصورة عن الكائنات التي يعيش معها الإنسان، أو المتخيلة التي لا يمكن رؤيتها، فهناك مرويات عن كائنات واقعية، وأخرى عن كائنات من صناعة المخيلة، وما نركز عليه في هذا البحث هو تحديد الرؤية حول الكائنات المتخيلة، عبر حضورها الميتافيزيقي المؤثر في سلوك الإنسان.

وبما أنَّ المرحلة الأولى التي تكونت بها الحكاية هي مرحلة اللغة الاستعارية، فلا يمكن معاملة تلك اللغة باللغة الموضوعية الحالية، نتيجة الاختلاف في المفاهيم، وطريقة التعاطي مع تلك اللغة، لكن الحاصل الآني -من قبل الباحثين- هو التعامل معها على أساس موضوعي، وهو ما يخرج تلك المرويات من قيمتها الميثولوجية، ومن ثمَّ انحراف في مسارها الفكري، والغاية من انتاجها.

فالإنتاجية تمت على أساس صناعة العالم الموازي للواقعي، فلحظة الخوف من الطبيعة، والموجودات على تمثلاتها المختلفة، كانت الأساس في ايجاد الكائنات الخيالية، وربط تلك الكائنات بالقدرات الخارقة، لكنها تبقى ضمن إطار النمط الأدنى من الأسطوري، وهو ما يسمى بالخرافة، لكنها تلتقي مع الأسطوري في عملية تفسير الخلق، فإذا كانت الأسطورة تتحدث عن عملية الخلق، فإنَّ الخرافة وما ينتمي إليها تتحدث عن تفسير ذلك الخلق، وصناعة الهرمية في الوجود، والرؤية الماورائية، فضلًا عن انتمائها الحكائي للأسطورة عبر مفهوم الأسطورة القائم على الحكاية (التسطير)، كذلك الشخصيات المنتمية إلى المرتبة الثانية من تقسيمات فراي[2]، وارتباطها الفكري بالنمط الأصلي.

والغول والسعلاة من الحيوانات التي اكتسبت وجودًا حكائيًا يكاد يصل إلى الواقعية في الذهن، على الرغم من أنها لا تمتلك أي ظواهر فعلية، لكن المخيلة عمدت على صناعة تلك الرؤية حول حيوانات خارقة، أما لأغراض حكائية تتصل بالبطولة الخارقة، أو لأغراض تتصل بالتخويف، والأبعاد الآيدلوجية العميقة المرتبطة بالسياسة، وصناعة الخوف من المجهول، أو غير المرئي.

وفي هذا البحث سنحاول التركيز على تلك المرويات، عبر تحديد الحيوان ضمن خاصية السقوط أو الارتقاء[3]، بوصف الكائنات تنقسم إلى (خير/

(1) العقل اللغوي مخرجاه الكلام، والعقل الأسطوري مخرجاته الأفكار التي يعبر عنها بالكلام: ينظر: تمثلات العقل الأسطوري في المرويات العربية، أطروحة دكتوراه، حسين فاضل ملوح، 2023: 41-40.

(2) ينظر: تشريح النقد، نورثروب فراي، ترجمة محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية-عمان، 1991، ط1: 40-39.

(3) الارتقاء والسقوط مصطلحان يمثلان -رمزيًا- البنية

شر)، المرتبطة بالميثة الأصل (حياة/ موت)، ومن ثمَّ ترميز تلك الخاصية واسقاطها على الحيوانات، والتحولات الداخلية الموجودة في الحيوان، والمرتبطة بالأصل (النموذج البدئي)، وتأثير تلك الصورة على السلوك الإنساني، وتكوين العقل الجمعي في النظر للأشياء بحسب ذلك المعطى.

ثانياً: النمط وحضوره في المرويات

ترتبط الحيوانات المتوحشة بميثة الموت والسقوط، ضمن عالمها المظلم، فتأخذ رمزية السقوط في مفاهيم الإنسان، داخل حضورها الواقعي والمخيالي، والرموز الحيوانية ترتبط -الحكاية الصادرة من الإنسان- بالبنية النفسية، فهي فاعلة، بناءً على وجود الحكاية الأولى المحددة للمخالب الشريرة، وبالفك المفترس[1]، لتمثل صورته السادية بالتعويض عن الافتراس الداخلي للإنسان، فيصنع الإنسان من الحيوانات المفترسة الواقعية، ومن الخيال الحيوانات المفترسة جدًا، وجودًا يمثل السقوط أو علم الشر، فترتبط جميعها بخاصية السقوط، لأنَّها تحمل مخالب الشر (الموت)، والغول والسعلاة وغيرها، من الحيوانات الخيالية الشعبية، تشترك مع الحيوانات المفترسة في الواقع، أو البعيدة عن الوجود الإنساني، لتشكل رمزية الخوف في الحكايات الخاصة بالأطفال، ومن ثمَّ تصبح الحكاية ضمن بنية الإنسان اللاوعية التي تسافر معه كرموز للشر في الأحلام والرؤى الخاصة.

أما حضور الغول في المصادر اللغوية (تاج العروس)، بوصفها مروية ضمن عملية تفسير المفردة، تدل على الصفة العامة لذهاب العقل، وهي الشر الذي يذهب بصاحبه للهلاك، فاشتقت صورة الغول من المعنى اللغوي الدال على الموت والهلاك، مع تجليات الغول المختلفة[2]، ليس في حيوان محدد «غالَهُ الشيءُ {يَغولُهُ} غَوْلاً: أَهلكَه، كاغتالَهُ. غالَ هُ: أَخذَهُ من حيثُ لم يَدرِ. وَقَالَ ابْن الأَعْرابِيّ: غالَ الشيءُ زَيداً: إِذا ذهبَ بِهِ، يَغولُه. وَقَالَ الليثُ: غالَه المَوتُ: أَي أَهلكَه. والغَوْلُ: الصُّداعُ، وَقيل السُّكْرُ ، وَبِه فُسِّرَ قولُه تَعَالَى: لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هم عَنْهَا يُنْزَفُونَ أَي لَيْسَ فِيهَا غائلَةُ الصُّداع، لأَنَّه تَعَالَى قَالَ فِي موضِعٍ آخرَ: لَا يُصَدَّعونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفونَ وَقَالَ أَبو عُبيدَةَ: } الغَوْلُ: أَن {تَغتالَ عُقولَهُم، وأَنشدَ:

(2) «يُقَالُ فِيمَا يُعْرَفُ ببَنَات: بَنَاتُ الدَّم بَنَات أَحْمَرَ، وبَنَاتُ الْمُسْنَدِ صُروفُ الدَّهْر، وبَنَاتُ مِعًى البَعَرُ، وبَنَاتُ اللَّبَن مَا صَغُرَ مِنْهَا، وبَنَاتُ النَّقا هِيَ الحُلْكة تُشبَّهُ بِهِنَّ بَنانُ العَذارَى؛ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

بَنَاتُ النَّقا تَخْفَى مِراراً وتَظْهَرُ

وبَنَات مَخْرٍ وبَنَاتُ بَخْرٍ سحائبُ يأْتين قُبُلَ الصَّيْفِ مُنْتَصباتٍ، وبَنَاتُ غَيرِ الكَذِبُ، وبَنَاتُ بِئْسَ الدَّوَاهِي، وَكَذَلِكَ بَنَاتُ طَبَقٍ وبَنَاتُ بَرْحٍ وبَنَاتُ أَوْدَكَ وابْنَةُ الجَبَل الصَّدَى، وبَنَاتُ أَعْنَقَ النساءُ، وَيُقَالُ: خَيْلٌ نُسِبَتْ إِلَى فَحل يُقَالُ لَهُ أَعنَقُ، وبَنَاتُ صَهَّالٍ الخَيلُ، وبَنَات شَحَّاجٍ البِغالُ، وبَنَاتُ الأَخْدَرِيّ الأُتُنُ، وبَنَاتُ نَعْش مِنَ الْكَوَاكِبِ الشَّمالِيَّة، وبَنَاتُ الأَرض الأَنهارُ الصِّغارُ، وبَنَاتُ المُنى اللَّيْلُ، وبَنَاتُ الصَّدْر الهُموم، وبَنَاتُ المِثالِ النِّساء، والمِثالُ الفِراش، وبَنَاتُ طارِقٍ بَنَاتُ المُلوك، وبَنَات الدَّوِّ حَمِيرُ الوَحْشِ، وَهِيَ بَنَاتُ صَعْدَة أَيضاً، وبَنَاتُ عُرْجُونٍ الشَّماريخُ، وبَنَاتُ عُرْهُونٍ الفُطُرُ، وبِنْتُ الأَرضِ وابْنُ الأَرْضِ ضَرْبٌ مِنَ البَقْلِ، والبَنَاتُ التَّماثيلُ الَّتِي تَلْعَبُ بِهَا الجَواري. لسان العرب: فصل الباء الموحدة.

الأصلية (الخير/ الشر) وفي تمثلها الآخر (السماء/ الأرض)، ينظر: تمثلات العقل العقل الأسطوري في المرويات العربية: 76-75.

(1) ينظر: الانثروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها: 58-59.

وَمَا زالَتِ الخَمْرُ تَغتالُنا
وتَذْهَبُ بالأَوَّلِ الأَوَّلِ

وَقَالَ مُحَمَّد بنُ سلام: لَا تَغولُ عُقولَهُم وَلَا يَسكَرونَ، وَقَالَ أَبو الهَيثَم: غالَت الخمْرُ فلَانا: إِذا شَرِبَها فذَهَبَتْ بعَقلِه أَو بِصِحَّةِ بدَنِه، وَقَالَ الرَّاغِبُ: قَالَ الله تَعَالَى فِي صفة خَمرِ الجَنَّةِ: لَا فِيهَا غَوْلٌ نَفياً لكُلِّ مَا نبَّه عَلَيْهِ بقولِهِ: وإِثْمُهُما أَكْبَرُ من نَفعِهِما وَبِقَوْلِهِ عزَّ وجلَّ: رِجْسٌ من عَمَلِ الشَّيْطانِ فاجْتَنِبوهُ الغَوْلُ: بُعْدُ المَفازَةِ، لأَنَّه يَغتالُ مَنْ يَمُرُّ بِهِ»[1].

فاللغة الواردة فيها الرواية تبين التحولات في بناء المفردة، أو التفسيرات المختلفة، وعدم دلالتها على شيء محدد، أي حيوان أو مادة معينة، بل تشمل كل ما يمثل ذهاب العقل، أو حصول داهية، فتصبح مكانتها شيطانية، فالخمرة الذاهبة للعقل، هي قاتلة للإنسان، ومن ثمَّ تأخذ الجانب المعنوي بالابتعاد عن الفعل الصحيح، لتكون نموذجًا للشر، ومن هنا قامت الحكايات على تحديد الغول الحيواني الدال على الوحشية والموت، لتصبح ضمن رمزيات السقوط.

فمن الصفات المعنوية إلى وصف الأرض والتراب، ومن ثمَّ وصفها بالحيوان، لتأخذ الصفة على عاتقها الكشف عن الحيوانات الدالة على الموت، وقد ورد في الثقافة العربية أنَّ الغول يحمل دلالة المشقة والتعب والحيوانات المفترسة «الغَوْلُ: المَشَقَّةُ، وَبِه فُسِّرَت الآيةُ أَيضاً. الغَوْلُ: مَا انْهَبَطَ من الأَرضِ، وَبِه فُسِّرَ قولُ لَبيدٍ:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فمُقامُها
بِمِنىً تأَبَّدَ! غَوْلُها فرِجامُها

الغَوْلُ: جماعَةُ الطَّلْحِ، لَا يُشارِكُه شيءٌ. الغَوْلُ: التُّرابُ الكَثيرُ، وَمِنْه قولُ لَبيدٍ يصِفُ ثَوراً يَحفِرُ رَملاً فِي أَصْلِ أَرْطاةٍ: ويَبري عِصِياً دُونَها مُتْلَئِبَّةً يَرى دونَها {غَوْلاً من الرَّمْلِ غائلا غَوْلٌ، بِلَا لام: ع، فُسِّرَ بِهِ قولُ لَبيدٍ السَّابِقُ. وغَوْلُ الرِّجامِ: ع، أَخَر). والغُولُ، بالضَّمِّ: الهَلَكَةُ، وكُلُّ مَا أَهلَكَ الإِنسانَ فَهُوَ} غُولٌ، وَقَالُوا: الغَضَبُ {غُولُ الحِلْمِ، أَي أَنَّه يُهْلِكُهُ} ويَغتالُه ويَذهَبُ بِهِ.

الغُولُ: الدَّاهِيَةُ، كالغائلَةِ. الغُولُ: السِّعلاةُ، وهما مُترادِفان، كَمَا حقَّقَه شيخُنا، وَقَالَ أَبو الوفاءِ الأَعرابيُّ: الغُولُ: الذَّكَرُ من الجِنِّ، فسُئِلَ عَن الأُنثى فَقَالَ: هِيَ السِّعلاةُ، ج: أَغْوالٌ {وغِيلانٌ، وَفِي الحديثِ: لَا صَفَرَ وَلَا غُولَ، قَالَ ابنُ الأَثيرِ: أَحَدُ} الغِيلانِ، وَهِي جِنْسٌ من الشَّياطينِ والجِنِّ، كَانَت العرَبُ تَزعُمُ أَنَّ الغُولَ يَتراءَى فِي الفلاةِ للنّاسِ { فتَغُولُهُم، أَي تُضِلُّهُم عَن الطَّريقِ، فنفاهُ النَّبيُّ ﷺ وأَبطلَه، وَقيل: قولُه: لَا غُولَ، ليسَ نَفياً لِعَيْنِ الغُولِ ووجودِه، وإِنَّما فِي إبطالُ زَعمِ العَرَبِ فِي تلوُّنِه بالصُّوَرِ المُختلفةِ} واغتيالِه، أَي لَا تستطيعُ أَن تُضِلَّ أَحداً»[2].

فالصفة الأولى للغول تأخذ مكانة الهبوط، إي الارتكاس النفسي، فهي قادمة من البناء الدال على الداخل العميق المرتبط بكل ما يدخل الجوف، فيصبح في الظلمة، أي السقوط الرمزي، ومن ثمَّ تُطلق على الحيوان التي تحفر في الأرض، ليكون النمط الثابت في الغول الغوص في أعماق الأرض، وهو ما يشاكل النفس البشرية، أي الغوص في الأعماق النفسية ضمن الترميز النفسي، ومن ثمَّ التوهان في الأفكار والمخيلة، فيصنع الإنسان الدواهي من تلك المنطقة الخاصة ببنية الأفكار

(1) تاج العروس: مادة: غول.

(2) تاج العروس: مادة غول.

العميقة، التي تحمل صفات الشر، فأما أن يكون حضورها على المستوى الحكاية فيتخلص من تلك العقدة، أو يكون حضورها على مستوى الأحلام، فهي تمتلك النموذج البدئي القادر على الحضور في المخيلة، ومن ثمَّ الأحلام، وإذا ما تكررت فنحن ازاء عقدة من الصعب فك شفراتها الداخلية.

أما تحديدها بالخلق الشيطاني فهي مرتبطة بالشر، بوصف الشيطان صفة للشر، وطريقة تصنيف الغول بوصفها ذكر الشيطان والسعلاة أنثاه هي تصورات ناتجة من المخيلة تجاه الوجود وعدم المعرفة، لتكون المصطلحات المستعملة مشكلة لمعرفة الإنسان للطبيعة، وللخيال الذي أفرز الموجودات، والمهم في الغول والسعلاة القدرات التي تمتلكها في انزال الداهية على الإنسان، سواء في الحفر، أم في سرقة الطفل كما ترد في الحكايات الشعبية[1]، لتمثل مرحلة السقوط والوحشية، كذلك تحمل القدرة على التماهي مع مجموعة من المخلوقات الدالة على الشر[2].

وتحول الغول في المفهوم الحكائي إلى (سعلاة)، يكشف عن عمق التصورات لدى الإنسان تجاه الواقع والحياة، فهي مبنية على الحكاية القديمة، وعلى المجهول الذي يشعر بوجوده داخل النفس، فتأخذ السعلاة الصفة الحيوانية المفترسة، المرتبطة بالبناء الميثولوجي العميق، ليكون حضورها على أساس حضور جميع الحكايات والحيوانات الدالة على الرمزية ذاتها، ومن ثمَّ ترتبط الحيوانات ذات القدرات العالية بمنطقة أعلى منها، منطقة الشياطين وعالم الجن، لتحمل قدرات خاصة ضمن بنية الحكاية، وترتبط بالبعد الميتافيزيقي، لتأخذ صورة السقوط المنتمية للأصل الشيطاني، فالنسق الشيطاني لا يعرف الحضور الموسمي، ولا الحضور الهادئ، بل يأخذ صفة الافتراس داخل الزمن المفتوح، وبما أنَّ الغول أصبحت السعلاة، وهي من الشيطان أو الجن، فتمتلك حضورها ضمن البنية النفسية والمخيلة، لتتمظهر بأشكال مختلفة وبصورة زمنية مستمرة بحسب الحوادث، وبحسب سرد حكايات الأبطال الذين يواجهون مثل هذه الحيوانات الخارقة، وهو ما نجده في قصص الشخصيات البطولية في العصر الجاهلي[3]،

(1) في حديث لامرأة كبيرة السن تكشف عن رؤيتها للغول أو السعلاة وأنها تسرق الأطفال.

(2) «فالغول تتحول في أي صورة شاءت، وتتمثل في صور مختلفة، إلا رجليها، فلا بد من أن تكونا رجلي حمار.
وذكر أن «الغول» «السعلاة»، وهما مترادفان، وذكر أن الغيلان جنس من الجن والشياطين، والعرب تسمي الحية الغول. وقيل أن «أنياب أغوال» الواردة في شعر لامرئ القيس، الحيات، وقيل: الشياطين.
وإلى الشاعر «عبيد بن أيوب» شاعر «بني العنبر»، يعود قسط كبير من القصص الوارد عن «الغول» و«السعلاة». فقد كان يخبر في شعره إنه يرافق الغول والسعلاة، ويبايت الذئاب والأفاعي، ويؤاكل الظباء والوحش. وقد أورد أهل الأخبار شيئًا من شعره في هذا الباب. وذكر بعض علماء اللغة، أن الغول الذكر من الجن، والسعلاة الأنثى. والغول ساحرة الجن، وتقول إن الغول يتراءى في الفلاة للناس فتضلهم عن الطريق.
وأما «السعالي»، وواحدتها السعلاة، فذكر أنها سحرة الجن،وقيل:إن الغيلان جنس» المفصل، ج12: 305.

(3) وقصص الغول هي من أشهر القصص الجاهلي المذكور عن الجن، ومع خطر الغول وشراسته في رأي الجاهليين، ورد في قصصهم تزوج رجال من الإنس منهم. وورد أن الشاعر «تأبط شرا» تعرض بغيلة. فلما امتنعت عليه، جللها بالسيف فقتلها. وهم يروون أن من الممكن قتل الغول بضربة سيف. أما إذا ضربت مرة ثانية، فإنها تعيش ولو من ألف ضربة. وهكذا ترى قصصهم يروي تغلب الإنسان على الغيلة في

ليتم تنميطهم ضمن عالم الخوارق.

والبناء اللغوي لمرحلة الحكاية كما حددناه مسبقًا، قائم على فكرة المجاز التي تؤدي الغرض الرئيس في الحكاية، بوصفها دالة على الأشياء البعيدة عن الواقع، أو أنَّها تمتلك حضورًا ضمن عالم لغوي غير العالم الواقعي «قَالَ الأَزْهَرِيّ: العَرَبُ تُسَمِّي الحَيَّةَ الغُولَ، ج: {أَغوالٌ، وَمِنْه قولُ امرئِ القيسِ: ومَسنونَةٌ زُرْقٌ كأَنيابِ أَغوالِ قَالَ أَبو حَاتِم: يُرِيدُ أَن يَكبُرَ ذلكَ ويَعظُمَ، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: كأَنَّه رؤُوسُ الشَّياطِينِ. وقُرَيشٌ لم تَرَ رأْسَ شيطانٍ قَطُّ، إِنَّما أَرادَ تعظيمَ ذلكَ فِي صُدورِهِم، وَقيل: أَرادَ امرؤُ القيسِ {بالأَغوالِ الشَّياطينَ، وَقيل: أَرادَ الحَيَّاتِ. الغُولُ: ساحِرَةُ الجِنِّ، وَمِنْه الحديثُ: لَا غُولَ ولكنْ سَحَرَةُ الجِنِّ أَي وَلَكِن فِي الجِنِّ سَحَرَةٌ لَهُم تَلبيسٌ وتَخييلٌ. الغُول: المَنِيَّةُ، وَمِنْه قولُهم: غالَتْهُ غُولٌ.

غول: ع، وَهُوَ ماءٌ للضَّبابِ بجَوفِ طِخْفَةَ، بِهِ نَخْلٌ يُذْكَرُ مَعَ قادم، وهما وادِيانِ، قَالَه نَصرٌ.

قَالَ النَّضْرُ: الغُولُ: شيطانٌ يأْكُلُ النّاسَ، وَقَالَ غيرُه: كلُّ مَا} اغتالكَ من جِنٍّ وشيطانٍ أَو سَبُعٍ فَهُوَ غُولٌ، أَو هِيَ دابَّةٌ مَهُولَةٌ ذاتُ أَنيابٍ رأَتْها العَرَبُ وعرفَتْها وقتلَها تأَبَّطَ شرّاً، جابِرُ بنُ سُفيانَ الشاعِرُ المَشهور. الغُولُ: من يتلَوَّنُ أَلواناً من السَّحَرَةِ والجِنِّ، وَفِي الحَدِيث: إِذا تَغَوَّلَتْ لكمُ} الغِيلانُ فبادِروا بالأَذانِ أَي ادْفَعوا شرَّها بذِكْرِ الله، وذُكِرَت الغِيلانُ عندَ عُمرَ رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، فَقَالَ: إِذا رَآهَا أَحدكم فليؤَذِّنْ فإِنَّه لَا يَتحَوَّلُ عَن خَلْقِه الَّذِي خُلِقَ لَهُ. الغُولُ: كُلُّ مَا زالَ بِهِ العقلُ، وَقد {غالَ بِهِ} غُولاً، ويُفتَحُ. يُقال: {غالَتْهُ غُولٌ، أَي أَهلَكَتْهُ هَلَكَةٌ، أَو وقعَ فِي مَهلَكَةٍ، أَو لم يُدْرَ أَينَ صَقَعَ»[1].

نجد في الحكاية حضور الأفعى بوصفها الغول، الداهية، الموت، الشر، وكل الصفات الدالة على السقوط، ومن ثمَّ عمل أبو حاتم على إدراجها ضمن عالم لغوي يتسم بالمبالغة والابتعاد عن الواقع، برفد رأيه بآية قرآنية، مما يشكل صورة نمط تشكيل الحكاية ضمن بنيتها الزمنية، ومن ثمَّ تدخل الحكاية الخاصة بالغول والسعلاة ضمن عوالم السحر والجن، لترتقي مكانة أعلى من عالم البشر، فتكون رمزيتها الحكائية مرتبطة بالبناء الميثولوجي الخاص بالمرحلة السابقة، كلكامش، أوزريس، تموز، وزيوس، دينسيوس، ورحلاتهم الخيالية التي صنعت منهم أبطالًا مخلدين[2].

فالرحلة الخاصة بالأبطال العرب تلتقي مع الأبطال السابقين، كلكامش، أنكيدو، أوزريس، زيوس، وغيرهم، فكلكامش حارب الوحش

بعض الأحيان. وأكثر قصص الغول منسوب إلى «تأبط شرا»1. وللقب الذي يحمله هذا الشاعر أو حمل عليه دخل، ولا شك، في ظهور هذا القصص.

ويرى علماء اللغة أن من معاني «الغول» التلون، والظهور بصور مختلفة، والاغتيال. ويرون أن الغول أنثى، وأما ذكرها فيسمى «قطربا». ولصفة التلون والظهور بصور مختلفة سموا الغول «حيتمورا»، وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة، ويضمحل كالسراب. وذكر في وصف غدرها بالإنسان إنها إذا أرادت أن تضل إنسانا أوقدت له نارًا، فيقصدها، فتدنوا منه، وتتمثل له في صور مختلفة، فتهلكه روعا، وإن خلقتها خلقة إنسان، ورجلاها رجلا حمار.

وذكروا أن الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار، ويتلون في ضروب الصور والثياب، ذكرا كان أو أنثى» المفصل، ج12: 304.

(1) تاج العروس، مادة غول.

(2) ينظر: كنوز الأعماق، قراءة في ملحمة جلجامش، فراس السواح، سومر للدراسات والنشر، 1987، ط1: 155-157.

(خمبابا)[1]، الذي يمتلك الصفات الخارقة، والتي عجز الإنسان عن فهمها، ولا تمتلك الوجود الحقيقي الذي يمكن مشاهدته من قبل البشر، إنما هي خصيصة للأبطال، وهو ما ينطبق على أوزوريس في صراعه مع الوحوش[2]، ومع الكائنات الخارقة، ويصدق على زيوس أيضًا، لتكون الحكايات هي النموذج البدئي لوجود الغول في الحكايات الحالية، أي أنها انسلال رمزي، وهي طريقة دقيقة تعمل عليها النفس في إدخال العالم اللامرئي في المرئي، لأسباب تتعلق بصناعة البطل والسلطة، فضلًا عن الخوف من المجهول، فجميعها تكاتف من أجل صناعة تلك الصورة.

فهناك عمليات نفسية عميقة تجسد فاعلية الحيوان الخرافي، المرتبط بالرمزية الخارقة، والمبتعد عن الأسطورة بالمعنى الذي طرحه ميرسيا إلياد[3]، لتدخل ضمن عالم التنظيم الأرضي للأفعال السابقة، فتكون قرينة الخرافة في تشكيل الهندسة الداخلية للنفس البشرية، فعالم الخوارق الأرضية الذي ارتبط به الشيطان في مرحلة لاحقة بعد النزول من السماء، أصبح يمثل العالم السفلي، السقوط المتكرر في الشر وتجلياته المختلفة، والأفعى والشيطان والجن صورة من صور السقوط.

فيعمل الإنسان على مواجهتها، ليصنع الصراع الأزلي في الوجود مع القوة الخارقة في الطبيعة، بوصف الحيوانات والكائنات التي خلقها لا تمتلك حضورها الواقعي المادي، بل تحمل رمزيتها المستمرة، لتكون المحاكاة عملية مواجهة وتفسير القوى العليا، وهو تفسير مقنع للنفس الإنسانية، للعيش ضمن قدرات خاصة بوجود البطل الأسطوري، سواء على المستوى الأدبي (الحكائي) مثل قصة سيف بن ذي يزن[4]، أم على المستوى الواقعي المتجسد في صورة البطل الخارق الذي يصنعه الإنسان من الإنسان الواقي وفي كل زمن، فهو حامل لهذه الرمزية، ضمن الوجود المقابل له (الشر) الذي يحمل رمزية السقوط.

وتأخذ صورة السعلاة ذات الرمز الشيطاني صورة التجسيد الإنساني، أي عملية تشبيه الإنسان بالسعلاة، وهي مرحلة تقريب العالم الماورائي للعالم الواقعي ضمن الصفات المطروحة في السعلاة، فنجد قوم يسمون ببني السعلاة «و (أَمّا قَوْلُ عِلْباءَ بنِ أَرْقَمَ: يَا قَبَّحَ اللهُ بَنِي السِّعْلاتِ عَمْرَو بنَ يَرْبُوع شِرَارَ»[5]، ليصبح الإنسان من وجهة نظر الذات الناطقة ممثلًا لعالم الشر، فيتم ربطه بالصفات الخارقة ضمن رمزيتها الشيطانية، وهي طريقة العرب في الهجاء والتقليل من الآخر ضمن المفاهيم المعنوية الأخلاقية، لكنها تبقى عملية إعلاء ضمن مفاهيم القوة الخارقة.

ونجد الغول كصفة على الشر تحضر في مفردة (طغموس) ليتم وصفها بالشيطان، «الطَّغْمُوس، بالضَّمِّ، أَهْمَلَه الجَوْهَرِيُّ، وَقَالَ اللَّيْثُ، هُوَ المارِدُ من الشَّياطِينِ، والخَبِيثُ من القَطَارِبِ، أَي الغِيلانِ، ولَيْسَ فِي نَصِّ اللَّيْثِ: وغيرِهَا. وقالَ ابنُ دُرَيدٍ: الطُّغْمُوسُ: الذِي أَعْيَا خُبْثاً، نَقله الصّاغَانِيُّ فِي كِتابَيْه»[6]، فهي مفردة تدل على وجود كائن

(1) ينظر: كلكامش، ترجمة طه باقر، مركز احياء التراث العلمي العربي، 1971، ط2: 57-55.

(2) ينظر: الجبتانا، أسفار التكوين المصرية، مانيتون السمنودي، علي علي الألفي، روافد للنشر والتوزيع، 2010، ط1: 219.

(3) ينظر: مظاهر الأسطورة: 14-9.

(4) ينظر: سيف بن ذي يزن، بين الحقيقة والأسطورة، ثريا منقوس: 6-5.

(5) تاج العروس: نوت.

(6) تاج العروس: طغمس.

يحمل صفة الشيطان، على الرغم من عدم رؤية الشيطان لدى العرب، إلَّا أنَّ الوصف قائم على وجود صفة الشر، وهي الصفة التي جعلته في منطقة الداهية، السقوط ، ليصنع الإنسان سلسلة متتالية من الرموز الدالة على السقوط، وخلق عالم سفلي يتم فيه تجميع صفات الشر، هذا الشر يمثل التقسيم الأول في الظهور الكوني (نور/ ظلام) (جنة/ جحيم).

هذا يعني أنَّ الغول والسعلاة لا تمتلك الوجود الفعلي، لكنها تمتلك الوجود النفسي، بناءً على وجود النمط الأصلي (النماذج البدئية) التي تمثلت في صراع الأبطال مع الوحوش، لتنسل تلك البنية ضمن المخيلة ويكون لها الوجود الحكائي في المرويات، ومن ثمَّ انسلالها في الثقافة الشعبية، وتصويرها في الحكايات الشعبية من سرقة طفل أو ما شابه ذلك، سواء أكانت تلك الحكايات لغرض تخويف الطفل من المجهول، أو لأغراض أخرى، إلا أننا نجد فاعلية النموذج البدئي في الحضور ضمن المخيلة، ومن ثمَّ ظهوره على المستوى الكلامي، لتمتلك الغول والسعلاة الحضور الذهني النفسي الذي لا يمت إلى الواقع بصلة، إذا ما كانت على شكل إنسان أو حيوان.

أما حضورها على المستوى المعنوي، فهي تمثل جانب الشر، وهي ترميز فعلي للشر، وللحيوانات المفترسة، أي أنها تمتلك صفة الشر، لا التجسيد الفعلي، بذلك يمكن اطلاقها على كل ما يحمل صفة الشر، على الحيوان والإنسان، وهي مرتبطة بآلية السقوط منذ بداية وجود الطفل حتى نضوجه، ومنذ السقوط الأول للإنسان، أي أنها تمثل العالم الأرضي، عالم الأعماق والشر.

النتائج:

1- وردة مفردة الغول والسعلاة في المعاجم العربية على أنها حيوانات أو صفات ترتبط بالإنسان.

2- صارع الإنسان جانب الشر منذ بداية الخليقة، وكانت الغول والسعلاة ممثلة لذلك الجانب.

3- عملت المرويات العربية على تشكيل صورة ذهنية عن وجود الغول والسعلاة على شكل حيوان، وهي لا تمتلك الوجود الحقيقي، وإنما بسبب النموذج البدئي والخوف من الشر.

4- ما تصنعه المخيلة مرتبط بصناعة الأبطال ومواجهتهم للشر، ومن ثمَّ تكون للسياسة (السلطة) الأثر في انتاج الحكايات لصناعة الأبطال في أرض الواقع، وهي لا تمت للحقيقة بشيء.

5- لا تمتلك الغول والسعلاة الوجود الحقيقي، هي وجود ضمن المخيلة، وهي خرافة صنعتها الشعوب.

المصادر:

- الانثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها، جلبير دوران، ترجمة مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006، ط3.
- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، عدد الأجزاء: 40 أعوام النشر: (1385 - 1422 هـ) = (1965 - 2001 م)
- تشريح النقد، نورثروب فراي، ترجمة محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية-عمان، 1991، ط1.
- تمثلات العقل الأسطوري في المرويات العربية، أطروحة دكتوراه، حسين فاضل ملوح، 2023:
- الجبتانا، أسفار التكوين المصرية، مانيتون السمنودي، علي علي الألفي، روافد للنشر والتوزيع، 2010، ط1:
- سيف بن ذي يزن، بين الحقيقة والأسطورة، ثريا منقوس، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1980، ط1.
- كلكامش، ترجمة طه باقر، مركز احياء التراث العلمي العربي، 1971، ط2
- كنوز الأعماق، قراءة في ملحمة جلجامش، ترجمة فراس السواح، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، نيقوسيا- قبرص، 1987، ط1.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
- مظاهر الأسطورة، ميرسيا إلياد، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، 1991، ط 1.
- المفصل في تاريخ العرب، لدكتور جواد علي (ت 1408هـ)، الناشر: دار الساقي، 1422هـ/ 2001م، ط4.